النتاج الجديد

١ . شاعر الهوى والشباب

« الاخطل الصغير »

بقلم نعمات احمد فؤاد

منشورات مكتبتي الخانجي بمصر والمثنى ببغداد – ٨٤ ص

في هذه الدراسة التي تتناول ديوان الاخطل الصغير «الهوى والشباب» ثلاثة عناصر تجعلها من اقوى الدراسات التي قرأتها ، وهي تركيز البحث والتجرد واستيفاء الموضوع .

اما المقاييس الادبية فلست ادري بأيها انا اكثر اعجاباً : ابدقة هذه المقاييس المتباهية ، ام باناة الكاتبة وصبرها وطول بالها في تطبيق تلك المقاييس تطبيقاً دقيقاً .

نبهت الكاتبة في المقدمة الى ان دراستها هي « دراسة موضوعية بحتة لديوان « الهوى والشباب » ، اي انها لم تتبع فيها الطريقة «الاستقرائية » ، في الاحاطة بحياة الشاعر ،بسبب بعدها عن لبنان ، وبالتالي بعدها عن الشاعر وحياته .

تنقسم الدراسة الى عدة مواضيع هي : « شاعر الوصف» و « الطبيعة في شعره » و « شعر الجمال والغزل » و « القصة » و « المجتمع والوطن في شعره »و« اسلوب الشاعر » و«الشاعر في ديوانه » و « الشاعر وناقدوه » و « صور » ، وهذا القسم الاخير منتخبات من شعر الشاعر في المواضيع التي عالجها .

اما الوصف فمن رأي الكاتبة انه تلوين وزخرفة فيهما جمال واناقة ، ولكنهما لا يتجاوزان السطح الظاهر ، وهي تسوق من الشواهد المعززة بالنقد والتحليل ما يقيم الحجة ويوضح الدليل .

واكثر ما اعجبني من ذلك عمق نظراتها في تحليل شعر الاخطل بوصف الطبيعة وحسن التفاتها الى هذه الناحية . ففي رأيها ، وانا أوافقها على هذا الرأي كل الموافقة ، ان الطبيعة تظل في شعر الاخطل « خرساء » . ومع كل ما يطلقه في دنياها من اناشيد واحاديث تبقى صامتة لا تجيبه بنشيد ولا حديث .. اما السبب فهو ان صح استنتاجي من الدراسة ، ان الاخطل يقف عند الحدود السطحية من الطبيعة ، فشعره انعكاس وصدى لالوانها واشكال بنائها الظاهرة ، وما فيهما من توشية وتفويف ونمنمة . اما معانيها والاجواء الخفية ،وتجاوب هذه المعاني والاجواء مع نفس الشاعر ، فان شعر الاخطل لا يمتد اليها .

حقاً ان الاخطل الصغير يقيد الطبيعة بدل ان يعطيها من ذات نفسه ما يزيدها انطلاقاً وعمقاً . وطالما وقفت ، وانا اقرأ شعره بوصف الطبيعة ، عند نقص احسه ، ولا اجد له تفسيراً ولا عنه تعبيراً ، حتى قرأت هذه الدراسة فاتضح لي كل شيء .

ومما يرد في هذا المساق من التحليل والنقد المتزن رأيها في اسلوب الشاعر في وصف النساء ، اذ تقول :

« – للشاعر الفاظ يصوغ منها شعره في وصف الجمال النسوي ... هذه الالفاظ بمثابة علبة الوان عند رسام يفتحها كلما شاء التلوين .. »

ثم تمضي في سرد الشواهد المقنعة على ان وصف الشاعر هو في الغالب ، وصف حسي ، حتى لبنت في الخامسة .. (قصيدة ندى) ...

وتخشى الكاتبة ، بعد هذا ، ان يكون الشاعر « ممن لا يرون في الجمال الشرقي الا محاسن جسمية » .

ومن الشواهد التي تسوقها دليلاً على ذلك قصيدة « هند وامها » فهي « رغم ما خلعه عليها من الوان الروض والورد» تظل فيها « هند أو امها لا تزيد الواحدة منهما عن دمية تجذب بالالوان والبريق » ..

وعلى هذا الاسلوب الدقيق من التحليل تمضي الكاتبة في دراسة سائر مواضيع الديوان، حتى تخرج برأي لعله من اطرف الآراء التي قيلت في شعر الاخطل ، وهو تفضيل شعره القصصي على سائر مواضيع الديوان .

وليس هذا فقط ، بل لعلها ايضاً ترى ان الشاعر قصاص قبل كل شيء . وارجو ان لا يتبادر الى الذهن ان هواية « الاستطراف » هي التي اوحت الى الكاتبة بسلوك هذا السبيل . كلا ، بل انها استنتجته من درس دقيق لا يسع القارىء الا ان يوافقها عليه .

ويأتي شعره الوطني والاجتماعي في المرتبة الثانية بعد شعره القصصي ، في رأي الكاتبة . وعلى هذا يكون شعره الوصفي والغزلي في المرتبة الاخيرة . على ان الكاتبة لم تذكر هذا الترتيب صراحة ، بل استنتجته انا استنتاجاً من دراستها .

اما اسلوب الشاعر فقد اجادت كل الاجادة في تحليله وايضاح عناصره .

ويعجبني جداً وصف هـذا الاسلوب بـ « الاملس » في قولها : « واسلوبه املس تغلب عليه الفاظ معينة » الخ ...

واما الفصل الذي عقدته لتحليـل نزعات الشاعر الشخصية والاجتماعية من خلال شعره ، اعني فصل « الشاعر في ديوانه » وهو بمثابة تلخيص عام للدراسة ، فقد كانت الكاتبة فيه مثال المحقق المنقب المنصف في عرض نواحي تلك الـنزعات عرضاً موضوعياً ، لا تنقصه الدقة ولا صحة الاستنتاج .

ولا يسعني الا ان احمد للكاتبة هذه الروح التي دفعتها الى تخصيص فصل لموضوع « الشاعر وناقدوه » ،ردت فيه على بعض المتحاملين على الشاعر لغاية في النفس او لنزعة في الطبـع .

لقد تتبعت الكاتبة الشاعر نقداً وتحليلاً ، فلم تحابه ولم تترفق به حيث تجب الصراحة والقسوة ، ولـكنها انصفته وقدرت شاعريته حق قدرها ، حيث وجب الانصاف والتقدير . وبهذه الروح العلمية رأت من واجبها ان تنصفه من المتحاملـين ، فعقدت هذا الفصل ، وابانت فيه مواضع التناقض والغموض والتغرض التي وقع فيها بعض الذين تعرضوا لنقد الاخطل بغير الميزان الادبي الصحيـح .

بقي ان اذكر بعض المآخذ التي خطرت لي على هذه الدراسة .

اولاً : الا ترى الكاتبة ان خيال الاخطل الصغير يمعن في « التجريد » حتى ينقطع عن الواقع ؟ وهناك ، وسط الخيال المجرد ، يستطيع الشاعر انـ ينسج من الصور والاشكال والتهاويل الشعرية ما يغري ويبهر ويعجب في حسن التنسيق والتلوين والتأليف ، ولـكنه مع هذا ، تنقصه « الحرارة » ، حرارة الواقع ...

اضرب على ذلك مثلاً قصيدة « سلمى الكورانية » . ان فيها من الوان النقاء والصفاء والوضاءة ما لا مزيد عليه ، وفيها من صور التنسيق والتأليف ما يعجز عن مثله فن مهندس عظيم ، وفيها من الحوادث ما يسمو الى مخيـلة هوميروس ، ولـكنها جميعاً ليست من عالمنا ولا صلة لها بنفوسنا ولا علاقة بطبيعتنا .

والخيال مهما غلا ومهما اتسع لا بد من انـ يظل مجالاً لانطلاق الواقع ، والا اصبـح صوراً هندسية مجردة . وهـل يغلو الخيال الى ابعد من اساطير اليونان ؟ ومع هذا ظلت هذه الاساطير صوراً ورموزاً للواقع . ان الخيال ، مهما كانـ جميلا ، شيء تافه اذا لم يكن مجالاً لقلب ينبض ، وعين تستجلي ، ونفس تجيش !

ثانياً : الا ترى الكاتبة ايضاً ان الشاعر قد تخطىء يـده وهو يتناول احدى ، « علب التلوين » « فيأخذ مثلاً لصورة عنترة بن شداد علبة « هند وامها » ؟ مثل على ذلك :

قم نقبل ثغر الجهاد وجيده ...

لم يبق الا ان ندعو « الجهاد » بعد تقبيل ثغره وجيده الى جلسة غزلية حول كاس عرق في وادي البردوني .

ثم الا ترى ان الشاعر ، مع صدق عاطفته واصالة انسانيته في وصف الظلم الاجتماعي يظل بعيداً عن تلمس اسباب هذا الظلم في العلاقات الاجتماعية ، وانه يرجعه في الغالب الى غيب مجهول وقوة خفية ؟

ثالثاً : اخذت الكاتبة عـلى الشاعر ما ظنته خطأ نحوياً في قوله :

هوذا الريال ، وقد تألق ، ماحق   دجن الهموم وقد اردن محاقي

اذ رفع كلمة « ماحق » مع ان موضعها النصب باعتبارها حالاً من الضمير المستتر في « تألق » .

ولست ادري لماذا تصر الكاتبة على اعتبارها حالاً ، مع انه لا شيء يمنع من اعتبارها خبراً لـ « هو » وهو الاصح للمعنى .

رابعاً : وقعت الكاتبة في خطأ يقع فيه جميـع كتابنا المحدثين تقريباً بصورة عفوية . وهو استعمال « كاف التشبيه » في غير محلها ، كمثل قولها : في الصفحة ٤٧ : « الا تروقك منه ، كلبناني هذه النسبة ؟ » الخ ...

ان كلمة « كلبناني » لا تعني ان الاخطل الصغير لبناني ، بل تعني انه « يشبه لبنانياً » لان هذه « الكاف » لا معنى لها الا التشبيه ، وليس هذا ما تعنيه الكاتبة طبعاً .

وهو تعبير معرب حرفياً عن كلمة comme الفرنسية . وسبب شيوعه ان اكثر الترجمات عن الفرنسية الى العربية كانت تجري على يد اناس لا يتقنون العربية ، ولذلك اخذوه عن الفرنسية حرفياً ، وعليه نشأ الكتاب المحدثون الا قليلاً منهم .

ومثل هذا التعبير يرد كثيراً في سياق الدراسة . وصوابه ان يقال : « الا تروقك منه ، وهو اللبناني الخ .. » او « من حيث انه لبناني » .

ووقعت الكاتبة في خطأ آخر هو استعمالها « لا زال » بمعنى « ما زال » ، والاولى تفيد الدعاء بدوام حالة ما ، اما الثانية فتفيد الاخبار عن دوام حالة ما . قالت في الصفحة ٤٢ :

« ... اني لا زلت احدثك عن الشاعر بشارة الخوري الخ ... الخ » وهي تريد ان تقول « مازلت » .

٢. ضحكات القدر

من فاروق الى الثورة

بقلم حبيب الزحلاوي

مطبعة دار الهنا ببولاق مصر – ١٨٤ص

طالعت مقدمة هذه القصة المصرية فاغرتني اغراء شديداً بقراءتها، اذ وجدت الكاتب اديباً واعياً في نظرته الى الادب والمجتمع . اسمع هذا المقطع الجميل :

« وازعم ان القصة تناجز الشعر وتصاوله بسلاح من ادب الشعر القائم على اللفظة الجميلة، واللفتة البارعة ، والصورة الاخاذة ولعلها انتصرت عليه لانها تخاطب القلوب من وحي شعورها ، والعقول من فيض حكمها ، وتهمس في اعماق النفس الانسانية همسات روح الانسان وتحاول بشتى وسائل الاغراء والتشويق ان تجتذب القارىء من اي طبقة ومن اي ثقافة .

« كذلك اعتقد ان اولى واجبات الكاتب القصصي استلفات نظر الغافلين الى طيبات الحياة ، واسترعاء انتباه الذاهلين الى مفاتنها ، وايقاظ وعيهم ليدركوا عجائبها وغرائبها » .

ثم مضيت اقرأ مطلع القصة فزادني اغراء بالقراءة ماوجدته فيه من صدق في النظر ووضوح في العرض ، وهو يتحدث عن « الصداقة » حديثاً بليغاً واقعياً . ونصيحتي الى كل خائب في الصداقة ان يقرأ هذا الحديث ، فتهون عليه خيبته وتطمئن نفسه ...

أما موضوع القصة فهو ان احد اساتذة الجامعات تضيق نفسه بحياة بوهيمية ما زال يحياها بعيداً عن الاستقرار العائلي، ويبدأ ينظر الى انهماكه في قضاء ملذاته ومصالحه الخاصة ، غير مبال بما يرزح تحته ابناء وطنه من ظلم وطغيان نظرة الندم والاحتقار ثم يكون من طلائع هذا الانقلاب ان يقرر الزواج من فتاة فلاحة من بنات الريف توخياً لبناء المنزل الزوجي على اساس من الطهارة والحشمة والأخلاص ، بعيداً عن الفساد الذي يقوض الحياة الزوجية في المدينة .

ولكن زوجه لا تلبث ان تصارحه ، بعيد الزواج ، بانها كانت مخطوبة قبله لشاب ريفي قتل قبل ان يتم الزواج ، ويتبين من حديثها انها كانت مغرمة بذلك الشاب وانها حزنت لموته ، فيتنغص عيشه وتركبه الوساوس والاوهام ، الى ان ينقذه احد اصدقائه بان يبين له خطأه ، وان لا شيء يمس كرامته ورجولته من موضوع خطبة زوجه الاولى ، وان مصارحتها له بالحقيقة هي دليل الحب والاخلاص .

أعجبني في الكاتب حرصه على العنصر التوجيهي ، فهو في الواقع محور القصة . لكن حبذا لو انه لم يخرج بعض الاحيان او بالاحرى ، اكثر الاحيان ، عن اسلوب القصة الى اسلوب المقالة ، وهو يقصد الى هذا التوجيه .

لقد اثبت الكاتب انه قصاص بارع ، اذ ابدع واجاد في سرد قصة خطيب « صفاء » الاول ، واعطى القارىء صورة حية لناحية من المجتمع المصري مستوفية عنصر التوجيه ،دون ان يخرج ، مع هذا ، عن اسلوب القصة الى اسلوب الوعظ والمقالة ، فما باله لا يلبث ان يجعل من والد « صفاء » واعظاً يرقى المنبر خطيباً ، ويصيح : « ايها الناس ! .. » ؟!

اما اسلوب الكاتب ، فلعلي قد قلت رأيي فيه ، ضمناً ، انه قدير ، حين يريد ، على نسج الصورة للحوادث وللاشخاص نابضة بالحياة . ولكنه لا يريد ذلك دائماً .

فشخصيات «صفاء» مثلا ووالدها وزوجها الثاني ضئيلة المعالم متداخلة الخطوط ، مع انها ابرز شخصيات القصة . انك تسمعها تتكلم بوضوح وعمق ، ولكنك لا تحسها ولا تراها تتحرك وتحيا وتضطرب في هذه الحياة . وكذلك حوادث القصة ، تسمعها سماعاً باذنيك ؛ ولكنك لا تراها بعينيك .

وأستثني من ذلك شخصية خطيب « صفاء » الاول وحادث اجتماعه بوالده العمدة وتعرفه عليه ؛ وقد اصبح شاباً مفتول الساعد . ان الكاتب بلغ في وصف ذلك كله الذروة . والغريب ان شخصية « صفاء » تبدو واضحة جلية المعالم وهي مع خطيبها الاول ؛ ولكنها لا تلبث ان تنطمس وتضؤل معالمها وهي مع الثاني ؛ في حياتها الجديدة .

ثم ان سياق القصة كان يقتضي ؛ بصورة طبيعية، الاستطراد الى وصف حياة الريف المصري ، وما يعانيه من بؤس وشقاء وكان بطل القصة ، استاذ الجامعة ؛ جديراً بتعليق ، ولو عابر على هذه الحياة ، خصوصاً انه لا ينقطع عن التعليق والملاحظة على كل كبيرة وصغيرة . فهو مثلا لا يغفل عن وصف الطبيعة ومفاتنها في « اسوان » باسهاب وحماسة ، وباسلوب ليس فيه جديد ، فما باله يغفل عن ملاحظة الشقاء والبؤس في « قحافة » والتعليق ولو بكلمة واحدة عليهما ، وهو الذي يحاول قلب حياته رأساً على عقب تبرماً بهذه الاحوال ونقمة عليها ؟!

وحين سافر بطل القصة وعروسه الى مصايف لبنان لقضاء شهر العسل كيف ظلا يجهلان حدوث الانقلاب المصري وخلع فاروق ، حتى وردتها رسالة بالنبأ من والد صفاء ؟!

ألم يسمعا الراديو ؟ الم يقرآ الصحف ؟ وكيف عرف جميع العالم بالنبأ في حينه وساعته وظل هذان المصريان وحدهما يجهلان الحادث ؟!

ثم هل يرى الكاتب ان من بناء القصة بناء طبيعياً أن تسرد «صفاء» على عريسها قصة خطبتها الأولى بهذا الاسلوب المتقطع يوماً بعد يوم ؛ على طريقة اقاصيص «شهر زاد» ؟

انا لأعتقد ذلك ؛ وكنت افضل لو أنها سردت قصتها بغير هذه الصورة المتكلفة التي تبعد الموضوع عن طبيعة الواقع .

وملاحظة اخرى هي بعض اخطاء لغوية وقع فيها الكاتب منها استعماله كلمة «تذمر» بالزاي ؛ هكذا : «تزمر» وأستبعد ان يكون ذلك خطأ مطبعياً ؛ لأنها وردت اكثر من مرة بهذا الشكل .

وبعد فأراني كلما استطردت في البحث ؛ لا استطيع الانفصال عن الطابع العام الذي يطبع القصة ؛ وما فيه من لمعات توجيهية بليغة . انقل الى القارىء هذا المقطع البليغ ؛ وارجو ان يعتبر به كل طالب للحرية ؛ مناضل للظلم والطغيان:

« ان صرير قلم واحد في مناصرة الحرية الاجتماعية والدفاع عنها خير من عشرات القصائد ينظمها الشعراء في التغني بالحرية .

« إن صوتاً واحداً يرتفع منادياً بسقوط الطاغية خير من اصوات آلاف من الناس تنادي بحياة البطل الظافر .

« ان احترام البطل واجب . والأكثر وجوباً من احترام البطل ان لا نشيع الغرور في نفسه بالتهليل له والمناداة بحياته . لأن الغرور هو الكفن الذي تدرج فيه وثبة البطل » .

صادق صعب

ماض من العمر

مجموعة شعر : لمحمد عبد الغني حسن

منشورات : مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد – ١٥٨ ص

أعترف بانه تملكني ، حين أمسكت بهذا الديوان ، شعور آسر ، ورهبة مستهوية كمثل ما يتملكنا عادة أمام كل أثرٍ فني ، يتوجه خالد من الخالدين . ولِمَ لا ، والناظم صاحب لقب ، كشوقي وحافظ ومطران وغيرهم ، وبينه وبين الأهرام رَحِم ماتّة .

قلبت الصفحة الأولى والثانية . فأطلت عليّ « من جداء الاحرار بشالها المرقش الشائق كأنه يزينها في أعين الأعراس (ما ألذ نغمات الحداة الأحرار وهي تنصب في آذان القافلة العربية ، لتعود بها الى أمجاد العروبة وعزة الأسلام) فاذا بها شوهاء المطلع ، خالية من الطرافة في التفكير والخيال والتعبير :

(من هؤلاء الصامتون ؟ تكلموا ! من هؤلاء المجمون ؟ تقدموا !

الى آخر ما هنالك من التشابيه التي لا ترعش وتراً ولا تهز حساً . كادت تمكن مني الفتور لولا بقية من رغبة ، وقدر من رقبة ، أشاعتها في اهرام مصر المستزوية بالزمن ، المشرئبة ساخرة بالفناء وحكم القِدَم .

تعدّيت هذا الحداء الممل ، الى « عبيد الشهوات » . فخذلتْ عن حدسي ، وخيّبت ظني ، بصورها البسيطة – – واحياناً العتيقة – وبجوارها المفكك ونثرها المحشور الذي يدعم زعمي .

– لا تضع العمر في فتاة (نافرة الجبل والعنان)

أو – النهر والبحر المزمجر ، والدجى والصبح ملكي والكواكب والقمر

وما اشبه ذلك .

فقلت : ربما لم يُوفّق الاستاذ في هاتين . فلنتجاوز عنهما . وتومىء لي « طريق الجهاد » ، فأعرج عليها . ولا البث حتى أنعرج عنها وزادي يسير :

كان الأله بها صناعة ناحت ووليد أنملة ، وطعمة آكل

وتتعلق بي « القلة الغالية » ، فأزجرها غير آسف . فتتواقح وتصر على ان أتأمل حكمتها المبتذلة كأكثر حكم هذا الديوان :

من كان ناصره الأله فانه هيهات يخذل من بني الانسان

إي والله ، قول حق . أما ان نأتي بالقول الحق وكفى فذلك مما يتنكر له الشعر في جميع نزعاته .

ان القول بحد ذاته ، إما في حال وقوع انفعالي ينتظر من يسبكه فيحسن السبك ، أو في حال امكان افتعالي ينتظر من يقنصه فيحسن القنص . ونحن اذا ما حاولنا التخريج والتحديد نرى ان الاستاذ حسن ينتسب ، الى القول الاول . سوى أنه – وهذا ما ينتقص شعره – يسبك فلا يحسن ، مع انتفاء الثاني تماماً .

تحديد يجبهك منذ القصيدة الأولى . فتحاول تنحيته ، فِعلَ من يحلم بكنز مخبوءٍ في مكان معين . فهو كلما اسلمته بؤرة الى الخيبة الفارغة احس بالرؤيا تولد في بؤرة اخرى . الى أن يخلّف وراءه أخيراً عدداً من البؤر ، فيودعها حلمه ويمضي .

وانا اذ أطلق هذا الحكم . أقر – وذلك بالنسبة لمحتوى الالوان .. بأنه لو لم تحز بعض القصائد كـ « طالع عام » و « شهداء الحرية » و « أنت الحياة » و « عربدة الرياح » و « أنة » و « جابر العثرات » و « ولدي » على بصيص لُمعٍ

شعرية لم تخل هي ايضاً من الشحوب – وأظنها احدى **فلتاته** حسب تعبير السَّحرتي – وبانــه لولا بعض أبيـــات معدودات مثل :

– الورد لا يحيا بظلمة حفرة   كيف الحياة على يد الحفار
و – نزر الكلام اذان نطقت فانما   شفتاك بينهما الكـلام نظام
و – تكاد تهمس بالكلام كأنما   عقد الحياء لسانك المتناجيا

لولا ذلك – لكان حكمي قاطعاً لا ينظر في الاسباب التخفيفية ، إن جاز لي هذا الاستعمال المحتكر .

من القرائح ما تلتقح ، بمجرد احتكاكها المباشر أو غير المباشر بأدب اجنبي، ومنها ما تعقم على رغم وسطها ومعطياتها. من تلك القرائح ، قريحة « ماض من العمر » التي بدت وكأنها لا تمتّ الى ثقافتها أو الى انتقالية الفن الأدائية المتدرجة من مرحلة الى مرحلة تدرجاً وضعياً حياتيا بحال من الاحوال:

اقد تغرّب الشاعر جسداً وعقلاً . أما شعره فظـلّ ابن التقليد قلباً وقالباً . تقرأه فلا تستروح جدّة ، ولا يجتذبك خلق ، وقلما يدهشك حس ُصوَريّ لمَّـاح ، أو يسكرك نبض إيحائي رفاف . َهنات" تحكمت بأغلب القصائد فمضت تغمز في مشيتها مشحونة بكومة من الصور الباهتة ، وشملة من التعابير الجاهزة ، ورزمة من الابيات النـثرية ، كادت تثقل كاهل البعض فتشله :

– صبراً اذا مشت الرياح بركبكم   وأناخ كلكله الزمان عليكم
– الكأس بين يديه طافحة الردى   ويقول : هات من المنيـة هات
– ويشيع الركب المودع بعضه بعضاً   ويمضي في الطريق العـادي
– كم هدمت من صروح الظلم في أمم   نعم ، وكم رفعت للعدل أركانا
– جيرانكم في مصر قد فزعوا لها   فالنار لا تخشى من الجيران

هذه نموذجات قليلات تبصّرك الكثيرات . فالشيوخةُ الزّمنة في (أناخ كلكله) والكلام المرصوف في (ويقول: هات من المنية هات) وفي هذه الـ (حتى يكونوا في الحياة رجالا) وفي (ويشيع الركب المودع بعضه بعضاً الخ...). والسّدادة الوزنية « نعم » في (كم هدمت) . والصياغـة الخشبية الصدى في (فالنار لا تخشى من الجيران) . كل هذه الخصائص تعرضها عليك بتفاوت في الكمية مجموعة « ماضٍ من العمر » .

واذا كنت تطلب المزيد فاليك نموذجاً آخر :

يروع القبرة في عشها   ويملأ بالهم عش القرير
ويرمي الأميرة في قومها   ولا يرعوي حين يرمي الأمير

ذكّرني هذا بسخافة أحدهم حين قال :

سادتي رقوا فقلبي موجع   موجع قلبي فرقـوا سادتي
مهجتي ذابت غراماً فيكم   فيكم ذابت غراماً مهجتي

ومن اللّواتي تصادفهنّ بكثرة فترغب عنهن ، أخصّك بحضرة الأخت الكبرى « إن » التي أتت مقلقلة في مواضع وأشبه ما تكون بسدادة وزنية . َمثَلُ ذلك :

انا حر ... لكن لي رغبات   إنما تأسر النفوس رجـاء

وقد تقع أيضاً على اجترار للمعنى الفرد ، لا يزيد في غنى الفكرة ولا حتى في غنى الشكل . وعلى قبضة تحيات وسلام موزّعة على الأحياء والأموات ، في أبيات مسؤومة مـن الطراز الأول :

هل أقفر القلب من هوانا   هل آذن الحب بالرحيل
هل زهرة الحب من هوانا   قد آذنت بعد بالذبول
هل نجمنا في الغرام أمسى   يا بهجة القلب في أفول
هل أقفر القلب واستحالت   بشاشة القلب للعويـل
هل سقم الحب واستحالت   ملاوة الحـب للنحول

ومن الطراز الثاني :

مضى عـام عليك وجاء عام   عليك مـن المحبين السلام
ذهب السلام وأدبرت أيامه   فعلى جهـادك للسلام سلام
يأيهـا الشيخ الوقور تحية   وعليك في دار السلام سلام
يأيهـا الثقة الأمين تحية   تجتاز نحوك بالعراق بقاعا
يأيهـا الوطن العزيز تحية   تطوي اليك السهل والأدغالا

كما أنك قد لا تستملح – من الناحية الأيقاعية – تجوّزه في الجمع – عروضا – في الخفيف بين فاعلاتن المشعّثة والمنقولة الى مفعولن وبين فاعلاتن التامة . كما هي الحـال في الضرب . وتجوّزه في الجمع – عروضاً ايضاً – في الرمل ، بين فاعلاتن وفاعلن كما هي الحال مع فعولن في المتقارب . وذلـــك في قصيدتيه «مولد ربيع في انكلترة » و « مـات على شفتيه النغم » . حيث جاء بهذين البيتين :

ذكرتني بك السماء الولهى   والرعود التي بجوك تزعق (ص٧٣)
ما عهدناه على المنبر إلا   ماضياً كالسيف نصلاً وسنانا (ص١٢٨)

إذ من المأثور والمستحسن معاً أن تلتزم في الرمـل – عروضاً – فاعلاتن دون فاعلن أو فاعلن دون فاعلاتن . وأن تلتزم في الخفيف فاعلاتن (العروض) مع جواز الجمع بينها وبين مفعولن ضرباً . إلاّ اذا جيء بالبيت مصرّعاً ، فيؤتى بالصدر والعجز متساويين . كما فعل الناظم في قصيدته « اديب العروبة » في هذا البيت :

من تفته المنون في بأساء   لم تفته المنون في النعماء (ص١٤٤ س٦)

لم أقصد بهذا الشرح أن ألقي درساً عروضياً على القارىء قد يكون بغنى عنه . ولكني أردت أن أكون واضحاً في مأخذي هذا الذي جرّني اليه حفاظ الشاعر على قواعد الخليل لا تعصبي لها . فصار لزاماً علينا أن نحاسبه على كل خروج على السياق العروضي الخليلي .

جسور حيّة

قصة بقلم الآنسة آنجال عبود

عزيزتي عاطفة .

سأخطب الى منير . وقد قبلت مقدما . وقريباً تقرئين النبأ فاسألك الا تتعجي ولا تدهشي ولا ترثي لحالي . انني وحدي المسؤولة عن عملي هذا ، وانا اقوم به مفتوحة العينين . انا اعلم خطورة خطوتي هذه ومع ذلك فانا اقدم عليها مطمئنة مهاكانت النتائج وإلا ... فاتني القطار وبقيت في وحدتي على رصيف المحطة بين صف طويل من العوانس ... اتذكرين كم كنا نسخر من استاذة التاريخ ومن عنوسها ذلك ؟

أنا اخاف ان القى هذا المصير . ليست الوحدة هي التي اخشاها ، فانا اقدر ان احيا ، بنفسي ، سعيدة راضية البال ، ولكنني اخشى ان يسخر الناس مني كما سخرنا من استاذة التاريخ في الماضي ؛ اخـاف نظرتهم المتسائلة عن سبب تخلفي عنهم . ولذا قبلت بمنير .

ماذا اقول عنه ؟ انه طيب القلب . انه وسيم نوعاً ! لا ... لن اصفه لك فانت تعرفينه وتعلمين ان الكثيرات يطمحن الى حمل اسمه الارستقراطي والتمتع برصيده المحترم في مختلف مصارف البلد وإراحة رؤوسهن على كتفه الرياضية العريضة . ولكن ... انا ؟

نعم يا عزيزتي انا . انا ايضا اصبحت من هؤلاء الفتيات فقبلت به مقدماً . ولم لا ؟ وبم تراني اختلف عنهن ؟ بالكبرياء وبعض المثالية ؟ بالاحلام ؟ ألست امرأة ، عفواً ، فتاة في عالم الرجل الذي نعيش فيه ؟ فكيف أشذ عنهن ؟ وماذا انتظر اكثرمن هذا ؟

صحيح انه كان علي ان ابقى في بيتي بانتظار الرجل الذي خلقت له وخلق لي ... لقد جلست في بيتي . واتاني الرجال ، وماكان ابعدهم عن رجلي ، فرفضت ورفضت . ليس من حقي إلا الرفض . ولقد قيل اني من السعيدات ، فهنالك من لا يملكن حق قول لا . ولكني بدأت اسأم الرفض . لم تعد القضية مسلية كما كانت في البدء . لقدانتهت المهزلة وبدأ فصل المأساة فيحياتي .

وهو ... رجلي ... الذي حلمت به ... الرجل الذي احببت من اعماقي ... لم يظهر في افق حياتي . ولم املك حق البحث عنه خارج محيط اهلي .

ثم لنفترض انه ظهر في الافق واقترب مني ، فهو سيكون لاهياً عني حتماً . لاهياً بتوطيد مركزه ، بتأمين مستقبله ، بفتاة غيري او باي متعة اخرى تستغرق كل انتباهه .... الم يحدث هذا لغيري من النساء ؟ وماذا فعلن ؟ هل طلبن منه مشاركته حياتهن ؟ اعرضن عليه الزواج ؟ هل ايقظن فيه الحب نحوهن ؟ طبعاً لا ... عيب ... بقين على صمتهن وقبلن اول رجل طيب القلب طلب الزواج منهن .

لا ... ليس لنا نحن النساء حق الاختيار . علينا بالـ « نعم » او بالـ « لا » نقولها لمن تنازل وطلب منا الحياة معه ... وقد تعبت من قول لا ... خفت ان ابقى بانتظار رجلي الذي ربما اتى الي وربما بقي بعيداً . خفت من الانتظار القلق غير الواثق من النهاية إلى ان اتأكد من انه سيأتي ، من انه سيدخل حياتي ! ولكن ... من هو هذا الذي انتظره ؟ وهل يأتي ؟ وهـل يراني ؟ ... لقد مللت الانتظار ونظرات من حولي كلها علامات استفهام لبقائي كما خلقت حتى الان ...

أتدرين ؟ كلما ذهبت الى حفل ما ، كلما حضرت اجتماعاً عـاماً شعرت بالكره لنفسي ، احسست بالاحتقار لانوثتي ، لاني ادخل الحفل من غير ذراع رجـل اليفة تقيني النظرات المتسائلة المشفقة . وفي هذه الحفلات ، وفي هـذه الاجتماعات اقترب الرجل – اي رجـل – مني وجلس الي فتفحصني من شعري المصفف حتى مانيكور اظافر قدمي ، لم يبق امامه إلا ان يقول لي : « قفي بربك قليلا ، استديري حول نفسك ، ارفعي يدك اليمنى الى رأسك ، اسبلي جفنيك باغراء ، ابتسمي ، اعبسي .... هه ، آه ... لا بأس ... سافكر بالامر ... على كل سأرى ما سيكون ... »

حتى هذا قام به وهو يطلب مراقصتي . وحدثني عن الطقس والرقص والسياسة احيانا ، وفرض علي الامتحان الفكري الذي يريده هو ، ثم ابتسم وهو يبتعد وكأنه يقول : « شكراً يا انسة . سأرى بضاعة الجيران قليلاً ... سأفكر بالامر . لدي متسع من الوقت ... سنرى ما سيكون . »

لا ... لا ... لقد تعبت من كل هذا ... لقد ...

حتى سائق السرفيس وخادم البقال الذي يجلب لنا الخضار ينظران الي نظرة تحسر وشفقة على شبابي الضائع ... نظرة حيرة من امر بقـائي في بيت ابي حتى اليوم .

وانا ؟ انا ايضاً رأيت نظرتي في المرآة ترثي شبابي المهدور .

واتى منير ... لم احلم به كرجلي ، ولكن ... قلت لك من هو رجلي ؟ آه لو عرفته ! وهل يأتي ؟

ومن يدري أن الخليل ما كان ليستحسن هـذا العيب لو سمعه . كشأنه مع بعض العيوب اذا قلّت ؟ وإن سألت كيف يُستحسن وهو عيب ؟ أحلتك على إسحاق القائل : قد يكون مثل هذا الحول واللثغ في الجارية يشتهى القليل منه فان كثر هجن وسمج ، والوضح في الخيل يشتهى ويستظرف خفيفة الغرّة والتحجيل ، فاذا فشا وكثر كان هجنة ووهنا .

غير أن ما سوف يلعنه الخليل طرحاً ، ويرذله مسخاً ، هو ذلك البيت المكسور الوارد في قصيدة (بين الصبر واليأس) :

يندفع الموج في تلاطمه ويتلاشى وهو أوشال

ومن له اذنان موسيقيتان أو معرفة بالعروض فليزن .

أمّا قوله :

وما طلب المكانة بالتمني فذلك مطلب ناء بعيد

من قصيدة « الى الجبل الأشم » فهو تشويه لقول شوقي :

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وبعد ما كنت لأثرّب عليه فأتمادى . لو أنه قلّد فأجاد ، وغنى فأطرب ، نظير غيره من المقلّدين . أقول هذا ، لئلا يُظن بي التأثر الجامح بمذهب من الشعر ، وبمقياس خـاص لا يحسب الفن في ما عداه . وإن كنت في الواقع لا أخلو من هذه الظنّة . إلاّ أني لست من الذين يتظاهرون بالعمى أمام الجمال في أي شكل بدا .

واخيراً ، أهذا « ماضٍ من العمر » ، ام هو ماضٍ من الشعر ؟ ...

هنري صعب الخوري